تحولات الكتابة النقدية العربية

(المنهج نموذجا)

د. المصطفى عمراني

جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس ـ المملكة المغربية

إن النص الأدبي عموما، والنص الروائي على وجه الخصوص، هو بالضرورة نص محاور، ومحاورته تبدأ منذ تلك اللحظة التي ينتقل فيها من ملكية خاصة (الكاتب) إلى ملكية عامة (مجموع القراء). فلا عجب والحالة هذه أن تتعدد آليات الحوار، وتختلف مشاربها، وتتباين مناهجها؛ ولا عجب أيضا أن يتوحد هاجسها في استكناه أبعاد هذا النص، وسبر أغواره، قصد تحويل ديناميته الكامنة إلى أبجدية ناطقة. ولذلك فإن اتجاه النقد الأدبي ليصير قراءة استنطاقية متعددة المعاني للنص تأكيد آخر على حوارية الخطاب الأدبي عموما والخطاب النقدي خصوصا. فلم يعد الخطاب النقدي يتوقف عند مسلمات تقنية نهائية أو يكرس صوتا موحدا، إنما يحاول أن يفجر مرة واحدة حشد الأصوات التي يحفل بها النص، ويطلق الحرية لتعددية المعاني والرؤى والأصوات التي تتعانق بدورها مع أصوات الآخرين (المتلقين) [1]. وهذه الأصوات المتعددة، وإن اختلفت من حيث مشاربها المعرفية ومقارباتها المنهجية ومنطلقاتها النظرية، يبقى القاسم المشترك بينها هو العمل الأدبي باعتباره ملتقى تقاطع هذه الأصوات.

الكلمات المفتاحية: الكتابة النقدية، النص الأدبي، الكاتب، القراءة، حوارية الخطاب، الخطاب النقدي، المعرفة، المنهجية، المنهج، العمل الأدبي.

Abstract

Literary text in general and narrative text in particular, is necessarily a text of axes, and its focus begins from the moment it moves from private ownership (the writer) to public ownership (total readers). It is no wonder that the dialogue mechanisms vary in different ways, and so do the approaches. Nor is it surprising that their obsession with the scope of this text and its ambiguity is united in order to transform its underlying dynamics into a spoken alphabet. Therefore, the trend of literary criticism to become a multi-meaning reading of the text of the text is another

---

تاريخ تسليم البحث: 10سبتمبر 2015.

تاريخ قبول البحث: 24 جانفي 2016.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

emphasis on the dialogue of literary discourse in general and critical discourse in particular. The critical discourse no longer depends on final technical monotheism or concentrates a unified voice, but tries to blow up the voices of the text once and forge the freedom of pluralism of meanings, visions and voices that in turn embrace the voices of others. These different voices, though different in terms of their cognitive approaches, their methodological approaches and their theoretical premises, remain the common denominator of literary work as the intersection of these voices.
Keywords: dialogue mechanisms, literary criticism, monotheism, intersection

تجدر الإشارة إلى أن الوعي بإشكالية المناهج في الساحة النقدية العربية هو حديث نسبي مقارنة مع مثيلاتها في الغرب، حيث يجمع مجموعة من الباحثين العرب على أن البداية الحقيقية للإرهاصات المنهجية في النقد العربي "بدأت بالتبلور بعد جهود حسين المرصفي، وبالذات كتابات طه حسين والعقاد، وفيما بعد في جهود محمد مندور ولويس عوض ومحمود أمين العالم وعلي جواد طاهر وعز الدين إسماعيل والجيل الجديد من النقاد العرب. ولا يعني قولنا هذا أن النقد العربي كان يخلو من عناصر منهجية واضحة، فقد دلت دراسات جادة على توفر مستويات منهجية معينة في موروثنا النقدي عبر العصور، ومنها الدراسات الرائدة التي قدمها الدكتور محمد مندور في "النقد المنهجي عند العرب"[2].

ويأتي وعي الحركة النقدية العربية بأهمية المنهج وفعاليته الإجرائية في الممارسة النقدية من خلال انفتاح روادها الأوائل على الثقافة النقدية الغربية، بما تروم من اتجاهات ومناهج إجرائية خلاقة. لذلك شكلت مرحلة العشرينات طفرة أساسية على مستوى الوعي بإشكالية المنهج في الممارسة النقدية، ولا أدل على ذلك من ظهور مؤلفات جديدة مثل (في الشعر الجاهلي) لطه حسين، و(الغربال) لميخائيل نعيمة، و(الوسيلة الأدبية) للمرصفي...الخ وهي أعمال تؤشر "للقطيعة" مع الإرث اللغوي والبلاغي، متوسلة بالمنهج التاريخي الذي سنه كل من سانت بوف (Saint Beuve) وهيبولت تين (H. Taine) ولانسون (G. Lanson)..."ففي ما بين العشرينات والأربعينات انتشر هذا المنهج، وروجه أساتذة ونقاد كثيرون منهم محمد مندور بما ترجمه عن الأدب الفرنسي أو ألفه عن النقد المنهجي عند العرب.. أو درس به إبداعات المعاصرين، ومحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس بما كتباه عن "الثقافة المصرية" ولويس عوض الذي قال عن منهجه: "وفي الأربعينات بدأت محاولاتي لإرساء المنهج التاريخي في مصر، فحاولت الربط بين الأدب والسياق التاريخي والبيئة التي نشأ فيها هذا الأدب. [3]" ويعلن محمد مندور في كتابه المشار إليه، عن تفضيله الأخذ بالمنهج التاريخي، لأنه "هو المنهج الذي استقر الباحثون على جدواه منذ أوائل القرن التاسع عشر إلى اليوم، وبفضله جددت الإنسانية من معرفتها بتراثنا الروحي وزادته خصبا"[4].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا أنه مع نهاية عقد الأربعينات وبداية عقد الخمسينيات، فإن المشهد النقدي العربي سيعرف بروز مناهج أخرى، تشكل تنويعات متطورة للمنهج التاريخي، ويتعلق الأمر بالمنهج السوسيولوجي والإيديولوجي والواقعي، دون أن نغفل البوادر الجنينية للمنهج النفسي. وهذه المناهج، وإن اختلفت في منطلقاتها النظرية والمنهجية، فهي بالأساس تتقاطع من حيث رؤيتها إلى الظاهرة الأدبية. وأهم ما يسم هذه الرؤية يتمثل في تناول هذه الظاهرة انطلاقا من معطيات خارجية مرتبطة إما بالسياق التاريخي أو الإطار الطبقي الإيديولوجي، وإما بالآليات النفسية اللاواعية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المناهج المنبثقة من رحم هذه المرحلة الممتدة من الأربعينات حتى حدود السبعينات هي نتاج تراكمات عدة طبعت الحقل الثقافي العربي بشكل عام، والميدان النقدي على وجه الخصوص. ويتمثل ذلك أساسا في "نشاط حركة التحرر في العالم الثالث، وانتصار الماوية والكاسترية والناصرية، ونشوء حركة عدم الانحياز، واحتداد الحس القومي العربي، وتبلور القضية الفلسطينية، ونكسة حزيران، وانتفاضة ماي 1968 بفرنسا، وحركة الاحتجاج الطلابي في العالم.. الخ. وقد رافق هذه الظرفية العامة على المستوى الفكري، تعريب الأدبيات الماركسية وكتابات فرانز فانون عن "معذبي الأرض"، ومذكرات تشي كيفارا حول مبادئ النضال وحرب العصابات، وكذا ترجمة وانتشار الأدب الوجودي، الذي لقي في أوساط المثقفين، منتجين ومستهلكين، تجاوبا خاصا نظرا لإلحاحه على بعدي الحرية والالتزام"[5].

وفي ظل هذه الحساسية العامة التي هيمنت على هذه المرحلة، برزت مجموعة من الأسماء في الساحة النقدية العربية، كان لها دور بارز في إرساء دعائم "المناهج الخارجية" (المنهج الاجتماعي، الواقعي، النفسي...) ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد مندور، سلامة موسى، لويس عوض، محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس، محمد النويهي، عز الدين إسماعيل...الخ وأهم ما تبلور عند هؤلاء -وغيرهم- على مستوى النقد الأدبي، تصور يعتبر الأدب انعكاسا لواقع تاريخي أو اجتماعي أو إيديولوجي أو نفسي، بعيد عن جوهر العمل الأدبي.

وبعبارة أخرى، فإن السؤال الذي ظل يحظى بالاهتمام، وبشكل مهيمن، في هذه المرحلة، هو بالأساس سؤال "الوظيفة"، أي وظيفة الأدب ودوره في الحياة الثقافية/السياسية للمجتمع العربي. لذلك نادرا ما يطرح سؤال "الماهية" (ماهية الأدب وقانونه الداخلي). وحتى وإن طرح، فإنه يبقى رهينا بالبنيات الاجتماعية التي تحتضنه، كما هو الشأن بالنسبة للبنيوية التكوينية، باعتبارها إطارا لتقاطع ما هو بنيوي، يخص جوهر العمل الأدبي (الفهم) ، وما هو تكويني يخص العالم الاجتماعي بأكمله (التفسير). و"لعل التركيب بين الحكم الجمالي والحكم الاجتماعي -كما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال لوكاتش- والرغبة في تحقيق "المبتغى الصعب للممارسة النقدية" هو ما دفع موجة أخرى من الدارسين إلى تبني المنهج البنيوي التكويني"[6*]. ومن بينهم يمنى العيد، إدريس الناقوري، حميد لحمداني، نجيب العوفي، محمد بنيس وبعض المقالات المبكرة لمحمد برادة...الخ.

هكذا يتبين أن هاته المرحلة الممتدة إلى حدود السبعينات، شكلت إفرازا لتراكم نقدي (اجتماعي، نفسي...) أهم ما يطبع هاجسه المنهجي هو الاحتفاء بالمكونات والأبعاد الخارج -نصية (extra textuelle) ، أي بالمرايا التي تعكس الظاهرة الأدبية. وهي مرايا تعكس الواقع الاجتماعي أكثر مما تعكس البعد النفسي. وهو الشيء الذي يفسر الحضور المحتشم وشبه الغائب للمنهج النفسي في هاته المرحلة الحساسة، التي هيمن فيها الطابع المحافظ والنزعة السلفية، وانتشرت فيها أدبيات الماركسية والاشتراكية في الثقافة والنقد العربيين، دون تجاهل المعطيات والتحولات التي يعرفها الواقع العربي في تلك الظرفية التاريخية. وكل هاته العوامل، وغيرها، قد ساهمت في تحجيم فعالية هذا المنهج إن لم نقل -حسب تعبير بعض الباحثين - "أفقدت التحليل النفسي حق المواطنة في النقد العربي"[7]. و"قد ترتب عن هذا الإجراء احتفاء خاص بالرواية بما هي مضمون إيديولوجي صريح ومباشر، مما جعل المعجم النقدي في هذه الفترة يطفح بمفاهيم مثل الواقعية والالتزام والشهادة والتصوير والانعكاس والوضوح والمطابقة، ونتيجة لذلك تم الخلط بين الشخصية الروائية والشخص الإنساني، بين إيديولوجية الرواية وإيديولوجية الروائي، بين الوظيفة الشعرية للغة ووظيفتها العملية...الخ"[8].

إلا أنه مع أفول شمس السبعينات، وبداية الثمانينات، عرفت الساحة النقدية العربية ميلاد حساسية جديدة، بفعل موجة الحداثة التي اقتحمت بعض هياكلها، وهو ما انعكس أيضا على مستوى الأداة المنهجية المعتمدة في الممارسة النقدية. وهكذا راحت "الرؤيا المنهجية في الحركة النقدية العربية الحديثة [...] تزداد وضوحا بفضل التأثيرات المباشرة للانفجار النقدي والنظري في أوربا والعالم منذ الستينات، والذي بدأ يجد صداه في الحياة النقدية العربية منذ منتصف السبعينات، وتبلور بشكل أفضل في الثمانينات عن طريق تأصيل بعض المناهج النقدية الحديثة التي اعتمدت اللسانيات والسيميائيات والتأويل كالبنيوية والتفكيكية ومناهج القراءة والتلقي وغيرها. ويمكن أن نلمس ذلك بشكل واضح في المنظورات المنهجية النظرية والتطبيقية لعدد غير قليل من النقاد العرب"[9].

وبعبارة أخرى، فإن الاتجاه العام لمسيرة النقد العربي -بعد تحول الممارسة النقدية من المنهج الجدلي تدريجيا عبر البنيوية التكوينية نحو تخوم البنيوية الشكلية والأسلوبية والسيميائيات...- يطرح سؤال الماهية، ماهية الأدب والقوانين الجوهرية المتحكمة في صياغته، محاولا بذلك إعادة الاعتبار للنص الذي أسقطته المناهج الخارج-نصية من حسابها. وهو الأمر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي أدى ببعض الباحثين إلى الإعلان عن تحول مسار الممارسة النقدية العربية في اتجاه إحداث "قطيعة إبستمولوجية تم بموجبها استبدال الواقع بالمتخيل، والتاريخ أو التكون بالبنية، والإبداع أو الإنتاج بالكتابة، والشفافية بالكثافة، والنقد الاجتماعي-التاريخي-الإيديولوجي بالمقاربة المحايثة، الخ. وأمكن لياكبسون وبارط وطودوروف وجنيت وكريماص وريكاردو وباختين وياوس الخ أن يعوضوا ماركس ولوكاتش وكولدمان، الخ. أو أن يعقدوا معهم تعايشا غير سلمي. كما غزت المعجم النقدي مفاهيم غير معهودة مثل الانزياح والسارد والمسرود له والمحكي والدليل والخطاب والشعرية والتناص والبوليفونية والتعدد الدلالي والسنن والتلفظ والنص المحاذي والبياض والذاكرة والجسد ولذة النص والأسلبة وأفق الانتظار، الخ. وكل هذه مفاهيم وأسماء تحيل على سجلات معرفية خاصة، يكاد يوحدها، رغم تنافر الآفاق النظرية التي تنتمي إليها أحيانا، تصور مشترك للأدب، تأليفا وتأويلا"[10].

وقد واكب هذه الحمية الشكلانية (أو المحايثة) التي طبعت الممارسة النقدية في هذه المرحلة بالذات مجموعة من الأسماء التي ساهمت في تجديد أداء النقد العربي في ضوء المتغيرات التي عرفتها الساحة الثقافية العربية، وهي أسماء تتفاوت بين مؤيد للمنهج البنيوي، أو الأسلوبي أو السيميولوجي (صلاح فضل، موريس أبو ناضر، كمال أبو ديب، سعيد يقطين، حسن البحراوي، عبد الحميد عقار، بشير القمري، عبد السلام المسدي، حمادي صمود وسعيد بنكراد...الخ) ، إلا أنها مع ذلك تتقاسم هاجسا واحدا يتمثل في الدفع بالنقد الروائي العربي على وجه الخصوص إلى تخوم النصية، مقترحة "تأويلا محايثا للملفوظ الروائي، وذلك من حيث محافله الحكائية (الوصف، السرد، الشخصيات، الفضاء...) أو استراتيجيته الخطابية المنتجة للمعنى (التناص، التقعير، المسرحة، العجائبية...) أو عتباته النصية (لوحة الغلاف، العنوان، المقدمة...) أو علاقته بالتلقي (صورة القارئ في النص، تدخله التأويلي...) أو سوى ذلك من المقومات"[11].

لذلك، وفي ضوء هذا الجهاز المفاهيمي المعتمد في النقد العربي، ارتفعت سوق أسهم المناهج المحايثة (البنيوية، الأسلوبية، السيميولوجيا) أمام تقلص نفوذ المناهج الخارجية (المنهج التاريخي، الاجتماعي، النفسي). وهو الأمر الذي أدى إلى إعادة الاعتبار للنص في وجه الدراسات النصية، وبالتالي التمهيد نحو الانفتاح على أفق آخر، يشكل محفلا أساسيا في المعادلة النقدية، ويتعلق الأمر بالمتلقي، باعتباره الطرف الذي ظل، إلى حدود التسعينات، في عداد المسكوت عنه[*].

مع بداية التسعينيات بدأ تحول في مسار الممارسة النقدية العربية في اتجاه بلورة خطاب يحتفي بالعلاقة المتبادلة بين القارئ والنص، حيث تم تحرير النص الأدبي العربي من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحادية القراءة، ومن محاولة تفسيره تبعا لمقولات وأفكار سابقة عنه في الوجود، أو اختزاله ضمن سقف تأويلي تسيجه بنية مغلقة.

بمعنى أن النقد العربي حاول أن يجدد أداته المنهجية والمفاهيمية من خلال التبئير على طريقة تداول النصوص الأدبية، وكيفية تلقيها أثناء عملية التفاعل مع القراء المتعاقبين عليها عبر السيرورة التاريخية. ومن رواد هذا التوجه في العالم العربي نستحضر مجموعة من الأقلام النقدية على سبيل التمثيل لا الحصر، منها: حسين الوادفي مؤلفه: مناهج الدراسات الأدبية، وعبد الفتاح كليطو في كتابيه: "الحكاية والتأويل" و"الأدب والغرابة"، وحميد لحمداني في كتابه: "القراءة وتوليد الدلالة"، ورشيد بنحدو في كتابه: "النص الأدبي من الإنتاج إلى التلقي"، ومحمد مفتاح في كتابه: "التلقي والتأويل"...الخ

تأسيسا على ما تقدم، يتبين أن المنحى العام الذي رسمه النقد العربي، في ضوء المناهج المعتمدة، يشابه إلى حد ما المسار الذي تبناه النقد الغربي، من حيث الانتقال من منهج إلى آخر. لكن يبقى السؤال المطروح: هل المناهج المستنبتة في الساحة النقدية العربية هي نتاج ظروف طبيعية أملتها الظرفية التاريخية؟ أم عصفتها رياح المثاقفة؟ وهل يمكن الحديث من خلال الأشواط التي قطعها النقد العربي عن انعطافات وقطائع إبستمولوجية في عملية الانتقال من مناهج معينة إلى أخرى؟ بمعنى، هل التحول من منهج نقدي لآخر هو نتاج بنيوي، أم حصيلة التأثيرات الأجنبية ليس إلا؟ وهل التعدد الذي يسم المناهج النقدية العربية هو مؤشر على وضعية صحية؟ أم مؤشر على أزمة –كما يحلو للبعض أن يقول؟

إن هذه الأسئلة تقودنا إلى استحضار وضعية اللاتكافؤ التي ميزت علاقة النقد العربي بالنقد الغربي، من حيث كون المعادلة بينهما على مستوى المثاقفة تبدو أحادية الجانب، مادام التأثير يأتي فقط من الجانب الغربي، الذي عرف تحولات عميقة وانعطافات كبرى على جميع الأصعدة، وهو ما انعكس أيضا على مستوى العلوم الإنسانية. كما أن علاقة اللاتكافؤ هذه لم تكن حبيسة العلاقة الأحادية الجانب، بل تجاوز ذلك إلى الزمن، وهذا ما يشير إليه محمد برادة بقوله عن ثقافتنا بأنها "تتأخر دائما في التعرف على الاتجاهات والمذاهب الأجنبية، وكثيرا ما يتم التعرف بعد أن تصبح تلك الكتابات مستنفدة لأغراضها عند من صاغوها، يضاف إلى ذلك، أن هذا التعرف قلما يكون تاما ودقيقا، وتلزمه الكثير ليصبح مبنيا على فكر نقدي قادر على التمثل والاستيعاب"[12].

ورغم هذه المآخذ التي تؤخذ على النقد العربي فيما يخص استفادته من الخبرة المنهجية، فإن بعض الباحثين المهتمين بالأدب المقارن، يرونها أمرا طبيعيا مادامت قوانين هجرة المناهج والاتجاهات الأدبية والنقدية والفنية، وانتقالها ونزوحها من ثقافة إلى أخرى، ومن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجتمع إلى آخر مرتبطة أساسا بنضجها أولا في موطنها الأصلي، حيث تكتسب شرعية تاريخية وفنية، وتكون قادرة على التأثير والإيصال ضمن حدود مناخ ثقافي معين، آنذاك تصبح مؤهلة للنزوح إلى بيئات ثقافية واجتماعية جديدة.[13] كما أن المسألة لا تتعلق أيضا بعوامل الترجمة والتلقي والاتصال، وإنما هي مرتبطة أيضا بتوفر شروط موضوعية وذاتية في البيئة الثقافية الجديدة، صالحة لإعادة إنتاج واستنبات هذه الظاهرة الثقافية أو تلك في فترة معينة"[14*]. "فالاتجاهات السيميولوجية والألسنية والبنيوية والتفكيكية مثلا لم تبدأ تأثيرها في الثقافة الإنجليزية [المحافظة] -وإلى حد ما في الثقافة الأمريكية- إلا منذ السبعينات والثمانينات"[15].

هكذا وفي زمن المثاقفة، و"أمام ترسانة المناهج النقدية الحديثة التي تدفقت على الساحة النقدية العربية، وجد القراء والنقاد أنفسهم أمام اختيارات عدة، هناك من سعى إلى تبني المفاهيم والمصطلحات الأجنبية بدون حس نقدي. وهناك من سعى إلى تمثلها وإعادة إنتاجها وتكييفها مع خصوصيات الخطاب الأدبي العربي. وهناك من ضرب عنها صفحا وعكف على متون التراث النقدي البلاغي القديم كرد فعل للتوجه المحض نحو منتجات الغربي الأوربي، وهناك من حاول أن يقيم نوعا من التعايش بين المصدرين الحداثي والقديم كما هو الشأن بالنسبة لمحمد مفتاح الذي أقام انتقائية "ذكية" تهدف إلى إعادة إنتاج المفهوم القديم وتحيينه بما ينسجم وطروحات النظريات النقدية الحديثة"[16].

وأمام هذه الاختيارات المنهجية المتبناة، تأكدت شرعية القراءات المتعددة التي وسمت الخطاب النقدي العربي الحديث، و"حقها في الحوار والحياة بعيدا عن المصادرة أو محاولة فرض منهج أحادي يزعم لنفسه القدرة المطلقة على حل اشكالات الثقافة المتنوعة"[17]. من هنا بدأت القناعات تتجه نحو الإيمان بأحقية "كل ناقد في أن يجترح لنفسه منهجا نقديا خاصا به يمكن أن ينتمي إلى واحد أو أكثر من المناهج الأساسية المعروفة"[18].

فهل يمكن، بناء على هذا التنوع والانتعاش النظري والمنهجي الذي يحبل به النقد العربي، الحديث أساسا عن تحولات عميقة في الممارسة النقدية، وبالتالي عن وجود قطيعة ابستمولوجية بين أصالة النقد الأدبي في عصر النهضة وبين حداثة النقد الجديد؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون فقط دعوة لحمل شعار التجديد والتحديث ليس إلا؟ لا سيما إذا اعتبرنا مع أدونيس أن "النقد العربي -رغم محاولات التحديث- [يعود] إلى الثوابت المضمونية وإلى تخوم الإيديولوجيا بأبعادها الوجودية والانطباعية والذاتية "لأن المعرفة العربية السائدة هي معرفة غير نقدية، ذلك أنها نشأت وتنشأ في أحضان الجواب"[19].

صحيح أن التحولات التي يعرفها النقد العربي مع مسيرته المنهجية لا تقر بوجود قطائع ابستمولوجية، تفرزها تحولات بنيوية، مما يؤدي إلى خلق مناهجها الخاصة، كما هو الأمر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالنسبة للنقد الغربي، الا أن هذا لا ينفي أيضا أن هناك تراكمات وهزات معينة أملتها ظرفيات تاريخية، حبلت بها الساحة العربية هي التي فرضت على الخطاب النقدي أن يجدد، في كل مرة، أداءه وفق المتغيرات والحساسيات المهيمنة. كما أن الناقد العربي لم يكن "إزاء تغيرات المشهد النقدي الكوني، سلبيا أو امتثاليا، بل كان واعيا وفاعلا، وبشكل خاص في تمثله لتضاريس هذا المشهد المنهجية والإجرائية"[20].

من هنا، فإن مشروعية الحديث عن أزمة منهجية في الخطاب النقدي العربي لا تتأتى إلا إذا اعتبرنا مفهوم الأزمة ليس مطابقا للمعنى المتداول، "أي على أنها مأزق أو أفق مسدود لا يمكن الخروج منه، وإنما ينبغي فهمها [الأزمة] على أنها حلقة تحول قد تكون طويلة بفعل مقاومة القديم الذي لم يمت بعد من جهة، ووجود الحديث الذي لم ينته من ولادته"[21].

تأسيسا على ما سبق، فإنه "لا يمكن القول بأن الحركة النقدية العربية الجديدة قد نجحت في تقديم إجابات متكاملة وشاملة حول قضايا المنهج النقدي، فما زال الكثير من الأسئلة معلقة، كما أن بعض الممارسات تشكو من فقر منهجي ومن تحول بعض المناهج إلى علم أو فلسفة أو إيديولوجيا. ولذا فإن قلق مرحلة الصيرورة النقدية الحديثة لم يحسم بعد، وليس من الضروري أن يحسم بسهولة. فالناقد العربي يجد نفسه على الدوام أمام مفازات واختبارات جديدة تتطلب منه أحيانا تعديل جوانب من رؤياه النقدية وقناعته الأساسية"[22].

ورغم ما سبق، فإن ما يمكن تسجيله، لصالح النقد العربي الحديث هو وعيه بأهمية الخبرة المنهجية، باعتبارها، من جهة، أداة رئيسية في توجيه القراءات واسترشادها نحو تعميق النظر والتأمل في العوالم السحرية التي يطفح بها التراث العربي، بعيدا عن المنطلقات العشوائية والحدسية والانطباعية، التي لا تؤسس لقراءة إبداعية؛ ومن جهة ثانية، تشكل حجر الزاوية في تحول مسار الممارسة النقدية في الخطاب النقدي العربي الحديث، الذي بدأ يعيش –حسب تقدير د. محمد برادة- مرحلة مفعمة بالبحث والتساؤل والمخاض، كان من أهم نتائجها:

1- التحول الذي طرأ على نوعية الكتابة النقدية ووظيفتها، وذلك بتحرير الأعمال الأدبية من قسرية المعنى الواحد. حيث سعت مناهج الدراسات الأدبية العربية . توازيا مع مثيلاتها في الغرب . إلى الانتقال من العناية بالمعنى، إلى تخصيص النظر في اشتغال النص وعناصره المكونة، ليتحول الاهتمام مع جمالية التلقي إلى التركيز على إبدالات الوقع والتلقي. كما أن هذا التحول هو في الواقع تحول من الوحدة إلى التعدد، من الفعل إلى التفاعل، من المعنى السرمدي إلى تعدد المعاني وخصوبة التأويل.

2- التخلي عن الأحكام المعيارية والرغبة في إنتاج معرفة خاصة بالعمل الأدبي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- تعدد المقاربات النقدية، واستعادة الكتابة لعلاقاتها الجدلية مع القراءة والتلقي.

4- اهتمام متزايد بالمنهجية والمنهج والمصطلح، وعلمية النقد.

5- إقبال النقد الأدبي على تجديد أدواته ومنهجيته.

6- إعادة صياغة النقد العربي لأسئلته التي هي بالضرورة جزء من أسئلة الثقافة في مرحلة تاريخية معينة[23].

مراجع البحث وإحالاته:

1- فاضل ثامر: "اللغة الثانية"، في إشكالية المنهج والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث"، المركز الثقافي العربي – ط1 / 1994، ص246.

2 - نفسه، ص: 223.

3- حسين الواد: "مناهج الدراسات الأدبية"، ص: 43.

4 - محمد مندور: "النقد المنهجي عند العرب"، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة (دون ذكر السنة) ص: 11.

5 - د. رشيد بنحدو: "الرواية بين أسئلة القراءة وأجوبة الكتابة"، مجلة "من قضايا التلقي والتأويل" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 36 / 1995 ص: 70-71.

6 - د. محمد خرماش: "النقد العربي الحديث في المغرب وإشكالية المناهج (البنيوية التكوينية نموذجا) "، مرجع سابق، ص: 319.

* - يمارس هذا المنهج (البنيوية التكوينية) حسب بعض الباحثين، غراء خاصا بالنسبة للنقد العربي الحديث نظرا لطبيعته التوفيقية (الشكل والمحتوى).

7 -د. محمد بوسلخن: التحليل النفسي والنقد العربي من خلال أعمال محمد النويهي وعز الدين إسماعيل وجورج طرابشي (رسالة السلك الثالث). عمل مرقون بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر- المهراز فاس المغرب.

فاس، تحت رقم 393 /1989، ص362.

8 - د. رشيد بنحدو: "الرواية المغربية بين أسئلة القراءة وأجوبة الكتابة"، مرجع سابق، ص: 73.

9- فاضل ثامر: "اللغة الثانية"، مرجع سابق، ص: 230.

10 - د. رشيد بنحدو: "الرواية المغربية بين أسئلة القراءة وأجوبة الكتابة"، مرجع سابق، ص: 74.

11- نفسه، ص: 78.

* لا ينبغي الاعتقاد بأن المناهج السالفة الذكر هي جزر متباعدة، تباعد الأشواط التي قطعتها، بحيث لا يمكن أن تلتقي في مرحلة معينة، بل هناك إمكان لامتداد وتعايش مناهج خارجية (المنهج السوسيولوجي، النفسي...) مع المناهج المحايثة في النقد العربي الحديث، وإن كان التمييز بينها تفرضه هيمنة احداها كنتيجة لإفرازات حساسية معينة. من هذا المنطلق فإن التحديد الزمني المشار إليه، هو تحديد نسبي.

12-عبد ا الرحمان بن زيدا ن: النقد الأدبي العربي ومسالة استيعاب التجربة النقدية الغربية مجلة المناهل ع 55/ يونيو 1997.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

13 - فاضل ثامر: "اللغة الثانية"، مرجع سابق، ص: 83.

14- نفسه، ص: 83.

* ففترة الانكسارات والإخفاقات السياسية والإحباطات النفسية في الستينات، مثلا، تمثل مرتعا خصبا لاستقبال الاتجاهات العبثية والوجودية وبعض عناصر السوريالية في الثقافة العربية.

15 - فاضل ثامر: "اللغة الثانية"، مرجع سابق، ص: 84.

16- محمود ميري: "توجهات ومسار النظرية النقدية الأدبية العربية الحديثة"، مجلة علامات، ع3، 1995، ص49.

17 - فاضل ثامر: "اللغة الثانية"، مرجع سابق، ص: 238.

18 - نفسه، ص: 238.

19 - مجلة فصول (المصرية) المجلد 9، فبراير 1991، ص: 160.

20 - فاضل ثامر: "اللغة الثانية"، مرجع سابق، ص: 82.

21- محمود ميري: "أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث: أزمة ثقافة أم أزمة منهج ؟" مجلة علامات، ع. 7، 1997، ص: 120.

22 - فاضل ثامر: "اللغة الثانية"، مرجع سابق، ص: 231.

23 - محمود ميري: "أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث: أزمة ثقافة أم أزمة منهج"، مرجع سابق، ص: 121.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com